الإخلاص

إعداد الشيخ / ابراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد: فإن من الأمور التي دعا إليها الإسلام: الإخلاص لله تعالى في القول والعمل؛ فعلى الإخلاص يدور قبول العمل عند الله سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه سبحانه، لذلك أمرنا وأمر غيرنا بذلك؛ فقال تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» (البينة: ٥).

فقبل أن يأمرنا بالصلاة والزكاة أمرنا بإخلاص العبادة.

وقد أمر الله رسولنا محمدًا صلى الله عليه وسلم بالإخلاص فقال تعالى له: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ» (الزمر: ٢-٣).

وقال له: «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» (الزمر: ١١).

ولذلك قال أهل العلم: لكي يقبل الله عمل العبد لا بد أن يتوفر في العمل شرطان هما: الإخلاص أولًا، ثم المتابعة والموافقة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد قيل في قوله تعالى: «لِيَبْلُوَكُمْ

Upload by : altawhedmag.com

أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» (الملك: ٢)؛ قيل: أصوبه وأخلصه؛ أي: أن يكون العمل صوابًا مشروعًا وفق ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، وأن يكون خالصًا لله سبحانه وتعالى، فإن كان العمل صوابًا ولم يكن خالصًا لله لا يقبله الله تعالى، وإن كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لا يقبله الله تعالى أيضًا. والله تعالى يقول في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». رواه مسلم. وفي رواية ابن ماجه: «فأنا منه بريء وهو للذي أشرك».

والإخلاص سر بين العبد وربه لا يطلع عليه أحد، فالإخلاص شيء بين العبد وربه لا يطلع عليه إلا مالك القلوب سبحانه وتعالى، وفي الحديث الصحيح: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

وفي الصحيح أيضًا قول النبي عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ما الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». رواه البخاري ومسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والنية هي القصد والتوجه الباعث على العمل، ومقاصد العباد وتوجهاتهم تختلف اختلافًا عظيمًا بحسب ما يقوم في القلب، فعلى العبد المسلم أن يُخلص التوجه والقصد عند كل عمل، وأن يجتهد في تخليص النية؛ لأن الشيطان يحاول جاهدًا أن يُفسد على العبد عمله، وكذلك نفس العبد تحاول أن تبحث عن حظها في كل الأعمال بظهور العمل ومراءاة الناس، وهذا مما يُفسد على العبد عمله ويُجرّده من الإخلاص لله رب العالمين. والله تعالى يقول: «فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (الكهف: ١١٠).

وقياسًا على قول النبي صلى الله عليه وسلم: «فمن كانت هجرته إلى الله...» نقول فمن كانت صلاته لله فهي لله، ومن كانت زكاته لله فهي لله، ومن كان حجه لله فهو لله، وقس على هذا كل أعمال العبد، وإن كانت أعمال العبد يشوبها الرياء وحب الظهور فهي لغير الله، والله تعالى منها بريء. ولذلك فإن المرائين لا حظ لهم ولا نصيب في الأجر عند الله. والله تعالى يقول: «مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ١٥ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (هود: ١٥-١٦).

ويقول تعالى: «فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» (الماعون: ٤-٧).

وفي الحديث الشريف: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». الرياء: يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: «اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء». صححه الألباني في صحيح الترغيب، وكذلك رواه الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد.

والله تعالى يقول: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢

Upload by : altawhedmag.com

لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ أوَّلَ الناس يُقْضى يومَ القيامة عليه رجلٌ اسْتُشْهِدَ، فأُتِيَ به، فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فعَرَفها، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: قاتَلْتُ فيكَ حتى اسْتُشْهِدْتُ، قال: كذبْتَ، ولكنَّكَ قاتَلْتَ ليُقالَ جريءٌ، فقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النار، ورجلٌ تعلَّمَ العلْمَ وعلَّمَهُ، وقَرَأَ القُرآنَ، فأُتِيَ به فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فعَرَفها، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: تعلَّمْتُ العلْمَ وعلَّمْتُهُ، وقَرَأْتُ فيكَ القُرآنَ، قال: كذبْتَ، ولكنَّكَ تعلَّمْتَ العلْمَ ليُقالَ عالِمٌ، وقَرأْتَ القُرآنَ ليُقالَ: هو قارئٌ فقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ في النار، ورجُلٌ وسَّعَ اللهُ عليْهِ، وأعْطاهُ من أصنافِ المالِ كُلِّه، فأُتِيَ به فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفها، قال: فما عمِلْتَ فيها؟ قال: ما تركْتُ من سبيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنفَقَ فيها إلَّا أنفقْتُ فيها لكَ، قال: كذبْتَ، ولكنَّكَ فعلْتَ ليُقالَ: هو جوادٌ، فقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجْهِهِ، ثمَّ أُلْقِيَ في النار».

وفي مقابل هؤلاء الأصناف الثلاثة الذين ذكرهم الحديث الشريف وبين حقيقة عملهم ومراءاتهم للناس وعدم إخلاصهم العمل لله، ففي المقابل ثلاثة آخرون ذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان إخلاصهم العمل لله سببًا في نجاتهم مما وقعوا فيه، وذلك في حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار وهو في صحيح البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فأول الثلاثة: توسَّل إلى الله بإخلاصه في برّ والديه، والثاني: توسل إلى الله بإخلاصه في عفته وطهارته وابتعاده عن إتيان الفاحشة، والثالث: توسل إلى الله بإخلاصه في أداء حق الأجير وتنميته له، وثلاثتهم كان يقول: «اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون».

وفيه أن الدعاء والتقرب إلى الله تعالى بصالح الأعمال والإخلاص سبب لتفريج كل كرب. وكل مسلم عليه أن يضع نفسه مكان أيّ واحد من هؤلاء الثلاثة، وعليه أن يسأل نفسه وأن يفتش في أعماله عن أيّ عمل أخلص فيه لله حتى إذا وقع في ضيق أو كرب توسَّل إلى الله بهذا العمل بمعنى أن يكون لكل واحد منا خبيئة يدخرها لوقت الشدة يكون فيها قد أخلص لله العمل، فالإخلاص هو روح العبادة، وعليه مدار قبول الأعمال.

فلا تجعل أيها المسلم لأيّ أحد من عبادتك نصيبًا، واجعلها كلها لله عز وجل؛ حتى تكون مقبولة عند الله تعالى.

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في الأمور كلها، وأن يجعل أعمالنا كلها خالصة لله وحده وألّا يجعل لغيره فيها شيئًا، وأن يقينا جميعًا شرّ الشرك، وحبوط العمل.

وصل اللهم وسلم على رسولنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com